الخطبة الثانية والثلاثون

وخير دينكم الورع

(الترغيب والترهيب/ 68)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله مداد كلماته، الحمد لله زِنَةَ عرشه، الحمد لله رضا نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وبعد:

كلنا يصلي، وكلنا يقرأ القرآن، وكلنا يذكر الله تعالى، ولكن هل العبادات التي نقوم بها لها روح، لها تأثير، لها حلاوة، لها استمتاع أو لذة في قلوبنا؟ هل عباداتنا تغيّر مجرى حياتنا؟ أم هي فقط عبادات نقوم بها لأنها عادة تعودناها أو تقليد نقلده؟ هل العبادة مقصودة لذاتها أم العبادة مطلوبة لما تخلفه من نتائج؟ يجب أن أكون واضحاً مع نفسي، يجب أن أضع النقاط على الحروف.

قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 29/ 45].

أوامر الله تعالى أن أتلو القرآن، وأن أقيم الصلاة، وأن أطبق أركان الشرع والأوامر الربانية بكاملها، وتلاوة القرآن وإقامة الصلاة كناية عن الشرع وعن كل ما تحمله الشريعة من أوامر ونواهي لأن شرع الله كامل ولا يمكن تجزئته، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ

مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: 2/ 85].

أو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: 15/ 91]، أي قسموه إلى أجزاء آمنوا ببعضها وكفروا ببعضها الآخر.

أرجع فأقول: إن الله تعالى أمر في آية العنكبوت بقراءة القرآن وإقامة الصلاة لفرض مهم جداً، ألا وهو بأن أوامر الشريعة يجب أن يكون لها نتيجة وسلوك وروح ومظهر وتأثير على الإنسان الذي يطبقها، وهذا الذي أعنيه هو: النهي عن الفحشاء والمنكر من جانب، وتزكية النفس البشرية، الأخلاق الإسلامية النبوية من جانب آخر، وذلك لأن ذكر الله أكبر من الدنيا وما فيها، ذكر الله حقيقة وإيماناً وتصديقاً وتصوراً يبعث على طاقة وحركة تغير مجرى حياة الإنسان ولأن الله تعالى قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 29/ 45]، هذه الروح وهذه الطاقة المتولدة عن القراءة والصلاة والتطبيق قد نسميها التقوى، وقد نسميها الخوف من الله تعالى، وقد نسميها لذة وحلاوة ... ألم يقل عليه الصلاة والسلام من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «فضل العلم خير من فضل العبادة - وخير دينكم الورع» رواه الطبراني في الأوسط والبزار.

الفضل الأول في التعلم: تتعلم التوحيد وتتعرف على الله تعالى وتتعرف على شريعته وأحكامه، هذا في أعلى المراتب كما في أمره تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: 47/ 19]، ثم العبادة؛ أي: التطبيق، ثم خير العبادة أن تكون للعبادة نتيجة وتأثير وروح ألا وهو الورع.

فما هو الورع؟ قالوا: 1- الورع هو مراقبة من تعبد، 2- الإخلاص لله تعالى، 3- الخوف من الله تعالى، 4- ترك الشك والريبة وما لا تطمئن النفس إليه، 5- والأخذ

بالأحوط والأوثق، 6- ترك الشبهات، 7- وقالوا: هو الضابط في قلب المؤمن يمنعه ويزجره عن الحرام والمنكر والفحش، وهو الضابط لما ينويه قلبه، وينطق به لسانه وتمتد إليه يده وهو المسيطر على كل جوارحه.

وقيل: إن الورع الفرضي هو الذي يردعك عن الحرام، والورع الواجب الذي يردعك عن الشبهات، والورع اللازم الذي يردعك عما لا يليق بك كمسلم من الأعمال والأقوال، والورع الفاضل الذي يمنعك عن الإسراف في المأكل والملبس والمركب والمسكن.

فالورع هو الوازع وهو الضمير الحي الخائف من الله تعالى، يردعه عن الحرام وعن الفحشاء يردعه عن الشبهات وأكل الحرام وظلم العباد، لأنه يعلم أن الله يراقبه والله سيميته ثم يحشره ثم يسأله، يبحث عما يفيده في قبره ومحشره، يبحث عما يجعله من أصحاب النجاة والجنة، ويترك ما يعيبه في دنياه وآخرته، يترك ما يريبه ويأخذ باليقين، لذلك ترى الصالحين لا يسرفون ولا يبذرون ولا يضيعون أموالهم أو أوقاتهم أو أعمالهم، ينفقونها، يصرفونها في تحصيل الأنفع والأفضل، عوضاً عن ثوب بمئة أو مئتين أكتفي باللازم، وقد يكون خمسيناً وأتصدق بالباقي. لا أقول حراماً بأن تتمتع، ولكن الورع تمتعه بما عند الله وبمرضاة الله وفك ضائقة المحتاجين أمتع عنده من الملبس الفاخر أو المسكن الفاخر، فهذا الورع الفاضل.

أُخْبِرَ سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن ابنه اشترى خاتماً بألف درهم فبعث برسالة إلى ابنه يقول له فيها: بع الخاتم وأطعم مئة مسكين، الابن ينظر إلى متعة الدنيا، والأب ينظر إلى متعة الآخرة.

قال ﷺ: «الحلال بَيِّنْ والحرام بَيِّنْ، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، وإن

حمى الله تعالى في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». ق 4 عن النعمان بن بشير.

جاء وابصة بن معبد إلى النبي ﷺ يريد أن يسأله عن البر والإثم فقال عليه الصلاة والسلام: «إن شئت أنبأتك بما جئت تسأل عنه؟ أو إن شئت فاسأل؟» فقال: أخبرني يا رسول الله، قال: «جئت تسأل عن البر والإثم؟» فقلت: والذي بعثك بالحق ما جئت أسألك عن غيره فقال ﷺ: «استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في نفسك وتردد في صدرك، وإن أفتاك الناس وأفتوك» حم – الدارمي – حسن.

فالوَرِعْ يَعْلَم ويُؤْمِن ويوقن بأنه يتعامل مع الله تعالى، ويعلم بأن الله تعالى لن يضيعه، وأن عمله مع الله تعالى مربح جداً جداً فوق الحصر وفوق الوصف وفوق التخيل، فقد روى قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «إنك لن تدع شيئًا لله عز وجل إلا بَدّلَكَ الله به ما هو خير لك منه» صحيح على شرط مسلم، حم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة» حم – طب.

قال ﷺ: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكات: فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية، وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام» (طس – عن ابن عمر).

وقد يقول البعض: إن الورع في القلب، فهذا صحيح؛ مراقبة الله تعالى، والخوف

من الله تعالى، ومحبة ما يحبه الله ورسوله، وكراهية ما يكرهه الله ورسوله، وإخلاصك ونيتك لمرضاة الله تعالى، كل هذا في قلبك لا شك فيه، ولكن الورع كما أنه يكون في القلب، فهو أيضاً يكون في الجوارح؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: 17/ 36 – 38].

فهناك ورع في العين في الغض عن الحرام، وورع في الأذن في الغض عن سماع الحرام، وورع باللسان في الكف عن السب والشتم، والغيبة والنميمة، وشهادة الزور والكذب، والسخرية، والتملق والتزلف، وتعيير الناس، والقول على الله تعالى وعلى الرسول ﷺ بغير علم، والتكلم في دين الله بغير علم، وورع في اليد عن الامتداد إلى أملاك وأموال الآخرين، وورع في الفرج، وفي السعي، وورع في البيع والشراء والمعاملات والعقود، الورع في كل مظهر من مظاهر الحياة، وسببه الإيمان بأن كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، هذا الإيمان يسبب خوفاً من الله سبحانه وتعالى، والخوف الحقيقي يمنع من الخوض في الحرام، ولذلك فالادعاء مرهون بالعمل، فإذا كان عملك مخالفاً فادعاؤك باطل باطل. هذا لا يعني أني لا أخطئ! ولكنه يعني: أن مسار حياتي ومسلكي وديدني مطابق للشريعة وإذا أخطأت فأتوب وأرجع، أما إذا كانت حياتي ومسلكي وديدني الخطأ والعياذ بالله فهذا الذي لا إيمان له ولا خوف له، ولو ادعى بأنه مؤمن ومسلم وخائف، والوَرَعْ يتحكم بالنية، فالوَرِعْ نيته دائماً مرضاة الله، ونيته دائماً الخير والعمل به والدعوة إليه، امتثالاً وتطبيقاً لأمره تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 5/ 2].

والبر معناه كثرة الخير، وحديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله

ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطّلع عليه الناس» مسلم.

فالبر جامع لكل خير، والإثم جامع لكل شر، فالوَرِعْ نيته دائماً فعل الخيرات واجتناب الشر، وذلك نتيجة إيمانه وخوفه ومعرفته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: 3/ 5].

وعن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ كلمات وهي قوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة» حم – الترمذي– ابن حبان.

الباطل والغش والحرام تفعله في الظلام، أما الحلال والمعروف والحق ترفع به رأسك وتنطق به بأعلى صوتك وتفعله أمام الناس تحت ضوء الشمس، الوَرَعْ أن تخاف الله فقط، الورع أن يكون همك رضاء الله تعالى فقط، خوفك ورجاؤك يجعلك تطلب الحلال وتكون عادلاً مع الناس، وتكون صادقاً. قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس، وأحب للمسلمين والمؤمنين ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكرَه لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك تكن مؤمناً، وجاور من جاورت بإحسان تكن مسلماً، وإياك وكثرة الضحك، فإن كثرة الضحك فساد القلب» صحيح ابن ماجه.

وقال ﷺ: «اتقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» (حم – ت – هب – أبي هريرة).

أتريد أن تكون أعبد الناس؟ اتقِ المحارم فذلك الورع، فما هي المحارم؟ المحارم هي أموال الناس وأعراضهم، المحارم هي ما حرمه الله تعالى، المحارم ما تقترفه جوارحك من مخالفات شرعية، المحارم هي حمى الله تعالى كما مر معنا من حديث النعمان بن بشير، وكأن رسول الله ﷺ قد عرّف العبادة الحقّة وهي اتقاء

المحارم، هي العبادة الحقّة أو هي تحقيق العبادة كما مر معنا في قوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 29/ 45].

فإذا امتنعت عن المحارم فقد حققت العبودية المطلوبة وحققت جوهرها، وكما قال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر رضي الله عنه: «أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسن» حم، وقال عليه الصلاة والسلام: «ملاك الدين الورع» صحيح مشكاة المصابيح.

ولما كانت حادثة الإفك سأل رسول الله ﷺ المقربين إليه عن عائشة رضي الله عنها. فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش رضي الله عنها عن أمري، فقال: «يا زينب ما علمت؟ ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيراً، قالت عائشة رضي الله عنها وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع» البخاري (2661) - مسلم (2770) أحمي بصري وسمعي من الكذب، أحمي سمعي وبصري من غضب الله تعالى ومن نار الله تعالى إن قلت ما لم أسمع أو أحدث بما لم أبصر، ولولا الورع لكان بين الضرائر ما كان ولكنها تقوى الله، وقولها تساميني أي تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانتها عند النبي ﷺ.

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها تتحدث عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: ولم أرَ امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصلَ للرحم، وأعظمَ صدقة، وأشدّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تَصَدَّق به وتَقَربَ به إلى الله تعالى.

قال ﷺ: «من استعاذكم بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا

له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» (حم - د - ن - حب - ك عن ابن عمر).

وقال ﷺ: «أفشِ السلام، وابذل الطعام، واستحيِ من الله تعالى كما تستحيي رجلاً من رهطك ذا هيئة، وليحسن خلقك، وإذا أسأت فأحسن؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات» (طب - عن أبي أمامة).

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: 35/ 10].

العزة لله ومن الله ويعطيها من يشاء، والكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، الكلام والعمل الذي أريد به وجه الله تعالى وكان فيه الإخلاص والنية الصادقة هذا الذي يقبله الله تعالى، والذي يَمْكُرُ في قلبه ويَمْكُرُ في صدره، والذين يخططون في الظلام، والذين لا يخلصون العمل لله تعالى أولئك لهم عذاب شديد، وسيفشلون في الدنيا والآخرة، فسبحانه ما أروع كلامه، فقد قابل الإخلاص لله بالمكر؛ فرفع الطيبين ووضع وأفشل الماكرين، اللهم اجعلنا من الورعين وتقبل منا يا رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم